جامعـــة الأزهـــــر
كليـــة أصـــول الديـــن
والدعوة الإسلامية بالمنوفية
قسم: التفسير وعلوم القرآن

(قصة الظهار وحكم الله تعالى فيها فى ضوء سورة المجادلة).

د/ ربيع العشرى على سويلم
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبــه نستعين

مقدمــة

الحمد لله الذى أنزل الفرقان على عبده تبصرة لأولى الألباب وآية صدق لخير العباد والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وهدى بأعظم كتاب.

وبعـد

فقد أنزل الله كتابة الكريم وأودع فيه من أنواع المعارف والعلوم ما لا يحصى، ليكون منهاجاً قويماً هادياً لكل خير مرشداً إلى كل بر، تكفل المولى تعالى بحفظه قال تعالى: (إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)[1].

وحث على تدبره والوقوف على أسراره فقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا)[2].

وقال: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ)[3].

وقال: (كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)[4].

ومن هنا قام علماء الأمة المخلصون منذ القدم بمحاولة الوقوف على بعض أسرار هذا الكتاب الخالد الذى (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ)[5]. مقتدين فى ذلك بخير الأنام المبين الأول للقرآن لما لم يرد بيانه فى القرآن صلوات ربى وتسليماته عليه الذى خاطبه ربه بقوله الكريم الحكيم (وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ)[6]. ونتيجة لما قام به علماؤنا فى كل عصر من العصور المتعاقبة وجدنا الكثير والكثير من الدراسات التى تدور فى فلك القرآن العظيم والتى تغيا بها أصحابها الدخول فى الخيرية التى أخبر بها حبيب الرحمن فى حديثه الكريم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[7]، فتعلم القرآن وتعليمه قراءة وتدبراً وفهماً، يجعل الإنسان فى خيرية لا يعلم كيفيتها ومقدارها إلا رب العالمين متى خلصت النية وحسن القصد، وطمعاً فى هذه الخيرية ورغبة فى شرف الإنضمام مع من يخدمون كتاب ربهم بقدر طاقتهم البشرية سعيت واجتهدت فى هذا المضمار إلى أن

---

[1] سورة الحجر الآية الكريمة رقم (٩).
[2] سورة النساء الآية الكريمة رقم (٨٢).
[3] سورة محمد ﷺ الآية الكريمة رقم:(٢٤).
[4] سورة ص الآية الكريمة رقم: (٢٩).
[5] سورة فصلت الآية الكريمة رقم: (٤٢).
[6] سورة النحل الآية الكريمة رقم: (٤٤).
[7] الحديث أخرجه البخارى فى صحيحة كتاب "فضائل القرآن الكريم" باب "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" حديث رقم: ٥٠٢٧ عن سيدنا عثمان رضى الله عن الجميع.

حقق الله تعالى لى ويسر سبحانه جل فى علاه فشرعت فى كتابة هذا البحث تحت هذا العنوان (قصة الظهار وحكم الله تعالى فيها فى ضوء سورة المجادلة).

وأسأل الله العظيم أن يتقبل هذا العمل المتواضع وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يعفو بفضله عن زلاتى ويمحو سيآتى إنه نعم المولى ونعم النصير.

د/ ربيع العشرى على سويلم
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية

تمهيـد

يحسن بى وأنا أقوم بإذن الله تعالى بالحديث عن هذا الموضوع أن أتحدث عن السورة العظيمة التى حوت هذه الآيات البينات المتحدثات عن موضوع البحث وهى سورة المجادلة من حيث تسميتها بهذا الاسم، وعدد آيها وعدد كلماتها وحروفها وزمان ومكان نزولها وموضوعاتها الرئيسية وفضلها ومناسبتها لما قبلها.

أولاً: التسمية ووجهها:

سورتنا هذه تسمى "سورة المجادلة" بفتح الدال وكسرها قال الألوسى –رحمه الله تعالى- والثانى هو المعروف[١]، ورجحه علامة عصره فضيلة الشيخ الطاهر بن عاشور حيث قال: "وكسر الدال أظهر لأن السورة افتتحت بذكر التى تجادل فى زوجها فحقيقة أن تضاف إلى صاحبة الجدال"[٢].

وأما بفتح الدال فهو مصدر من الفعل "تجادلك".

وأرى أن ترجيح أحد الإسمين على الآخر لا وجه له حيث إن السورة الكريمة أفادتنا أنه كانت هناك مُجادَلةٌ من مُجَادِلةٍ وقد وضحت ذلك السنة المطهرة –كما سيأتى- قريباً –إن شاء الله تعالى- فى سبب نزول صدر السورة الكريمة، وما جاء عن الإمام الألوسى –رحمه الله تعالى- من أن كسر الدال هو المعروف أقول: لعله كان معروفاً عندهم فى بلدهم[٣] فنحن هنا فى مصر قد تلقيناها عن مشايخنا وهم قد تلقوها عن مشايخهم بفتح الدال ويغلب على الظن أن فتح الدال هو المشهور فى الأقطار الإسلامية والله أعلم.

هذا وتسمى هذه السورة الكريمة أيضاً بسورة "قد سمع" وهذا الاسم مشهور فى كتاتيب دولة "تونس" كما قال الشيخ الطاهر[٤]، وسميت فى مصحف سيدنا أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه وأرضاه بـ"سورة الظهار"[٥] لاشتمالها على حادثة الظهار التى حدثت من سيدنا أوس بن الصامت لزوجة وبيان حكم الله تعالى فى ذلك -كما سيأتى بيانه- إن شاء الله تعالى.

ثانياً: عدد آيها:

اختلف فى عدد آيها على قولين[٦]:

الأول: أن عدد الآى: اثنتان وعشرون آية، وهذا فى عَدِّ أهل الشام والكوفة والبصرة والمدنى الأول[٧].

الثانى: أنها إحدى وعشرون آية وهذا فى عَدِّ أهل مكة والمدنى الأخير"[٨].

ثالثاً: عدد كلمات السورة الكريمة وحروفها:

---

[١] انظر: الألوسى جـ٢٨ ص٣ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. وحاشية الشيخ الجمل على الجلالين جـ٤ ص٢٩٨ طبعة دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة.

[٢] التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٥ ط الدار التونسية للطبع والنشر.

[٣] من المعروف أن إمامنا الألوسى –رحمه الله تعالى ولد فى الكرخ من أرض بغداد بالعراق سنة ١٢١٧هـ ومات بها عام ١٢٧٠هـ -رضى الله عنه وأرضاه- انظر مقدمة تفسير روح المعانى صـ٣، ٤ ط دار الفكر.

[٤] انظر: التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٥.

[٥] راجع الآلوسى جـ٢٨ ص٣ والتحرير والتنوير جـ٢٨ ص٥.

[٦] سبب الاختلاف فى عد آى الذكر الحكيم بصفة عامة هو: أن النبى ﷺ كان يقف على رؤوس الآى تعليماً لأصحابه الكرام أن هنا فاصلة فيظن بعضهم أن ما وقف عليه ﷺ ليس فاصلة فيصلها بما بعدها معتبراً أن الكل آيةٌ مستقلة، وهذا أمر لا ضير فيه على القرآن الكريم لأنه لا يترتب عليه زيادة ولا نقص فيه، وهناك سبب آخر لذلك وهو: أن بعض القراء يعد "البسملة" آية من كل سورة وبعضهم لا يعدها، راجع البرهان للإمام الزركشى جـ١ ص٢٥٢ ط عيسى الحلبى والإتقان للإمام السيوطى جـ١ ص٦٨، ٦٩ ط دار الفكر، ومناهل العرفان لفضيلة الشيخ عبد العظيم الزرقانى جـ١ ص٢٣٨ ط دار الفكر.

[٧] يقول الإمام الزرقانى نقلاً عن صاحب التبيان: (وعدد المدنى على ضربين عدد المدنى الأول، وعدد المدنى الأخير فعدد المدنى الأول: غير منسوب إلى أحد بعينه وإنما نقله أهل الكوفة عن أهل المدينة مرسلاً، ولم يسموا فى ذلك أحداً وكانوا يأخذون به، وإن كان لهم عدد مخصوص، وعدد المدنى الأخير منسوب إلى أبى جعفر بن يزيد بن القعقاع، وشيبه بن نصاح وقد رواه عنهما إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى بواسطة سليمان بن جماز) المناهل جـ١ ص٢٣٧، ٢٣٨ وانظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد بن محمد أبى شهبه ص٢٨٠ ط دار الجيل بيروت.

[٨] ينظر: كتاب "فنون الأفنان فى عجائب علوم القرآن الكريم" ص١٤٤ للإمام الحافظ ابن الجوزى رحمه الله تعالى، دراسة وتحقيق أ/ محمد إبراهيم سليم ط مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والآلوسى جـ٢٨ ص٣ والإتقان جـ١ ص١٧٠ وبصائر ذوى التمييز جـ١ ص٤٥٦ والتحرير والتنوير جـ٢٨ ص٥.

كلمات هذه السورة العظيمة أربعمائة وثلاث وسبعون كلمة أما حروفها فعددها ألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفاً[١].

رابعاً: زمان ومكان نزولها:

سورة "المجادلة" سورة مدنية فى قول الجمهور وابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة –رضى الله تعالى عن الجميع- ، وروى عن عطاء أنه قال: العشر الأول منها مدنى والباقى مكى، وقال الكلبى: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ)[٢] "نزلت بمكة"[٣].

والقول الأول وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن السورة مدنية هو الصحيح ولهذا اقتصر عليه كثير من المفسرين كالأئمة الرازى[٤] والخازن[٥] والسيوطى[٦] وابن كثير[٧] والبغوى[٨] والزمخشرى[٩] والنسفى[١٠].

ويؤيده الطريقان اللذان قررهما علماء التنزيل لمعرفة المكى والمدنى.

يقول الإمام السيوطى فى كتابه الإتقان: "وقال الجعبرى: لمعروفة المكى والمدنى طريقان سماعى وقياسى"[١١].

أما الطريق الأول وهو: السماعى النقلى الذى هو عبارة عن مجئ الأثر الصحيح ببيان كون المنزل مكياً أو مدنيا.

فقد أخرج ابن الضريس والنحاس[١٢] وأبو الشيخ فى العظمة والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: "نزلت سورة المجادلة بالمدينة" وأخرج الإمام ابن مردويه عن سيدنا ابن الزبير مثله"[١٣].

وذكر الإمامان القرطبى فى تفسيره والسيوطى فى إتقانه عن سيدنا أبى بكر الأنبارى قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا همام عن قتادة قال أنزل بالمدينة من القرآن الكريم: "البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، و"يا أيها النبى لم تحرم" إلى رأس العشر، و"إذا زلزلت"، و"إذا جاء نصر الله". هؤلاء السور نزلت بالمدينة، وسائر القرآن العظيم نزل بمكة"[١٤].

هذا عن الطريق السماعى النقلى.

أما الطريق الآخر: القياسى الذى يؤيد أن سورتنا الكريمة سورة مدنية كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء فهو أن السورة الكريمة كلها تدور على المحاور التى يدور عليها القرآن المدنى وتُعنى بالمقاصد والأغراض التى يهتم بها القرآن المدنى، يلحظ ذلك من قرأ السورة الكريمة ولو مرة واحدة حيث يجد أن السورة الكريمة تتحدث عن أحكام تشريعية وفروع عملية، وتتحدث عن اليهود وعن لؤمهم وخبثهم وعما كانوا يفعلون، ويريدون بالرسول ﷺ ومن معه كما سيجد السورة الكريمة تتحدث فى كثير من آياتها الكريمة عن المنافقين وأحوالهم وصفاتهم السيئة وتكشفهم أمام المؤمنين وتبين ما أعده الله تعالى لهم من الخزى والنكال وسوء المصير.

---

[١] انظر: بصائر ذوى التمييز جـ١ ص٤٥٦ والخازن جـ٧ ص٤٢ ط مصطفى الحلبى.

[٢] الآية الكريمة رقم (٧).

[٣] راجع زاد المسير للإمام ابن الجوزى جـ٨ ص١٨٠ ط مؤسسة الريان والقرطبى جـ١٧ ص٢٥٨ والبحر المحيط للإمام أبى حيان جـ١٠ ص١٢٠ ط دار الفكر والآلوسى جـ٢٨ ص٣ ط دار الفكر وفتح القدير جـ٥ ص ٢٣٦ ط مؤسسة الريان والجمل جـ٤ ص٢٩٨ والإتقان جـ١ ص١٧.

[٤] راجع تفسيره جـ١٥ ص٤١٩ ط دار الغد العربى.

[٥] راجع تفسيره جـ٧ ص ٤٢، ط المكتبة التجارية.

[٦] انظر: الدر المنثور جـ٨ ص٦٩ ط دار الفكر.

[٧] انظر: تفسيره جـ٤ ص٣١٨.

[٨] انظر: تفسيره على هامش الخازن جـ٧ ص٤٢.

[٩] انظر: الكشاف جـ٤ ص٦٩ ط دار المعرفة.

[١٠] انظر: تفسيره جـ٤ ص٢٣١، ط عيسى الحلبى.

[١١] الإتقان للإمام السيوطى جـ١ ص١٨ ط دار الفكر.

[١٢] انظر: الناسخ والمنسوخ للإمام النحاس ص٢٦٩ ط مكتبة عالم الفكر.

[١٣] الدر المنثور جـ٨ ص٦٩ ط دار الفكر، وانظر: فتح القدير جـ٥ ص٢٣٦.

[١٤] تفسير الإمام القرطبى جـ١ ص٧٨ ط دار الحديث والاتقان جـ١ ص١١ ط دار الفكر.

خامساً: موضوعاتها الرئيسية:

سورتنا هذه سورة مدنية تمتاز بما يمتاز به القرآن المدنى من التشريعات الكريمة والآداب الفاضلة، ولفت أنظار المؤمنين إلى أعدائهم المتربصين بهم من اليهود والمنافقين.

وقد افتتحت السورة العظيمة بالحديث عن السيدة الفاضلة التى جاءت تجادل وتحاور النبى ﷺ فى شأن زوجها حفاظاً على بيتها وأولادها وسماع الله تعالى لها وبيان حكمة الجليل فى قضيتها.

ثم توعدت السورة الكريمة وأكدت أن المحادين لله تعالى ورسوله مكتوب عليهم الكبت والقهر فى الدنيا، والعذاب المهين فى الأخرة وأنهم مأخوذون بما عملوه فى الدار الأولى مما أحصاه الله تعالى عليهم، ونسوه هم وهم فاعلوه: (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ).

وتؤكد السورة العظيمة بعد هذا وتذكر بحضور الله تعالى وشهوده لكل ما فى السماوات وما فى الأرض وما يكون من سرار بين المتناجين فهو تعالى مع خلقه:(أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ).

وتنتقل السورة بعد هذا التذكير الذى هو بمثابة تمهيد لما بعده، تنتقل لتهديد أعداء الله تعالى من اليهود والمنافقين الذين نهو عن النجوى التى يريدون بها إدخال الهم والحزن على أولياء الله تعالى ولم ينتهوا عنها، تهددهم بأن أمرهم معلوم مكشوف لمن لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وأن نجواهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول مسجلة عليهم وأنهم بسبب هذا التعدى والجرم فى حق عباد الله تعالى سيصلون جهنم وبئس المصير.

ثم توجه سورتنا الكريمة العظيمة ثلاثة نداءات للمؤمنين المخلصين:

فى النداء الأول: تنهاهم عن التناجى بغير البر والتقوى.

فى النداء الثانى: تدعوهم فيه إلى أدب السماحة والخلق الكريم الذى ينبغى أن يكون عليه المؤمنون فى مجالسهم لاسيما مجالس العلم والذكر.

أما النداء الثالث: فتدعوهم فيه إلى أدب السؤال والحديث مع خير خلق الله تعالى ﷺ والجد فى ذلك والتوقير له عليه الصلاة والسلام.

بعد هذه التوجيهات السديدة الكريمة تنصرف السورة الكريمة مرة أخرى إلى الحديث عن المنافقين تعجب من أحوالهم وشئونهم العجيبة حيث كانوا يتولون اليهود، ويتآمرون معهم ضد المؤمنين ويدارون تآمرهم هذا بالكذب والحلف للرسول ﷺ وللمؤمنين وتصورهم فى الآخرة كذلك كذا بين حلاَّفين بالباطل ظناً منهم بأن هذا الحلف يتقون به ما ينتظرهم من عذاب الله تعالى فى الآخرة كما كانوا يتقون به فى الدنيا ما يواجههم من غضب الرسول ﷺ والفئة المؤمنة.

وتختتم سورتنا العظيمة بهذه الصورة المضيئة الجميلة لمن صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه ودخل الإيمان فى قلوبهم فأضاءها وأنار طريقها وهم لهذا يعادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس إليهم (أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ).

لطيفة

تمتاز سورتنا الكريمة فى ضمن ما تمتاز به بميزة كريمة شريفة وهى أنها لا تخلو منها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثاً وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون.

سادساً: فضل السورة الكريمة:

سورتنا هذه سورة عظيمة كريمة لها من الفضل والمكانة ما يتناسب مع جلال الله وعظمته فهى من جملة كلامه العظيم، غير أنها تنفرد بفضل كريم وميزة خاصة إذ أنها هى السورة الوحيدة من بين سور القرآن الكريم التى تعرضت لقضية خطيرة وبينت حكم الله تعالى فيها هذه القضية هى قضية الظهار حيث كان الظهار عند العرب يعد طلاقاً مؤكداً

باليمين دالاً على الاجتناب يوجب حرمة مؤكدة لا رجعة فيها فجاءت سورتنا هذه وبينت الحكم الإلهى العادل الحكيم فى قضيته.

سابعاً: مناسبتها لسورة الحديد الكريمة:

اجتهد علماؤنا المفسرون فى القديم والحديث فى محاولة الوقوف على بعض أسرار المناسبات بين آيات القرآن العظيمة وسورة الكريمة معتمدين فى ذلك بعد توفيق الله تعالى لهم على تذوقهم لإعجاز القرآن الكريم وتفهمهم لبعض أسراره البلاغية والبيانية، وكان اجتهادهم فى هذا المضمار بغية إظهارهم ما يحتويه القرآن الكريم من جودة سبك وقوة إحكام وحسن نظم وبراعة ترتيب، وبيانهم الوحدة الموضوعية السارية فيه من أوله إلى آخره لأن آيات القرآن وسوره وإن كانت على حسب الحوادث والوقائع تنزلاً فإنها على حسب الحكمة ترتيباً، وهم بذلك قد نالوا شرفاً عظيماً وفضلاً كبيراً لخدمتهم كتاب ربهم وبيانهم وجهاً مِن وجوه إعجازه التى لا يحصيها عد العادين.

هذا وفيما يخص سورتنا الكريمة نرى أنها ذات اتصال وثيق بسورة الحديد الكريمة ويظهر هذا من عدة نواح أهمها:

١- أنه تعالى لما ذكر فى مفتتح سورة الحديد بعض صفاته الجليلة والتى منها (وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ)[١] وقال سبحانه: (يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ)[٢] افتتح هذا السورة الكريمة بما يدل على ذلك وهو سماعه تعالى قول المجادلة التى تشتكى إليه.

٢- أيضاً لما قال تعالى فى سورة الحديد (وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ) ذكر تفضيل ذلك وبيانه فى سورة المجادلة فى قوله تعالى:(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ)[٣]

٣- كذلك من وجوه مناسبتها لما قبلها أن سورة الحديد ختمت ببيان أن الفضل كله بيده تعالى فهو صاحب الفضل العظيم، وافتتحت سورة المجادلة بذكر شيئ من هذا الفضل وهو سماعه تعالى للمجادلة وبيانه تعالى حكمه الشافى الكافى لما جاءت تجادل الرسول ﷺ فيه.

٤- من وجوه المناسبة بينهما – أيضاً- أن فيهما حديثاً عن المنافقين وبيان أنهم فى الآخرة من الخاسرين الضالين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فهم يلقون فى الآخرة عذاباً شديداً أعده لهم الله العظيم جزاء تآمرهم ومكايدتهم ومعادتهم للمؤمنين الصالحين.

وبعد ..... فكان هذا تمهيداً بين يدى تفسير السورة العظيمة رأيت لزاماً على أن أذكره حتى يتفهم بادئ ذى بدء مقاصد السورة الكريمة وأسرارها وتوجيهاتها الحكيمة للفئة المؤمنة والأمة الإسلامية الناشئة.

والآن أشرع بحول ربى الكريم وطوله وتوفيقه فى ذكر قصة الظهار على ضوء ما قاله سادتنا العلماء جزاهم الله تعالى عنا وعما قدموه لدينهم خير الجزاء.

---

[١] سورة الحديد الآية الكريمة رقم (٣).
[٢] سورة الحديد الآية الكريمة رقم (٤.
[٣] سورة المجادلة الآية الكريمة رقم (٧).

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا الزلل وفتنة القول والعمل وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتنا إنه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قصة الظهار وحكم الله تعالى فيها
فى ضوء سورة المجادلة

يقول المولى جل جلاله:

(قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾)

سبب النزول

تظاهرات الروايات عند المفسرين والمحدثين على أن هذه الآيات البينات نزلت بسبب أول حادثة ظهار ظهرت فى الإسلام وكانت من سيدنا أوس بن الصامت[١] – رضى الله عنه- لزوجه السيدة خولة بنت ثعلبة -رضى الله تعالى عنها وأرضاها- (ذلك أن السيد خَوْلة بنت ثعلبة كانت تحت سيدنا أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم[٢] فأرادها فأبت فقال لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ما قال) وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، ثم إنه خرج إلى نادى قومه ساعة ثم عاد إليها ودعاها فقالت والذى نفس خولة بيده لا تصل إلىّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله تعالى – ورسوله ﷺ- فينا. قالت فواثبنى فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عنى قالت ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئتُ رَسُولَ الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فىّ، فلما خلا سنى ونثرت بطنى[٣] جعلنى عليه كأمه وتركنى إلى غير أحد، فإن كنت تجد لى رخصة يا رسول الله تنعشنى بها وإياه فحدثنى بها؟ فقال ﷺ: "والله ما أمرت فى شأنك بشئ حتى الآن"[٤] وفى رواية "ما أراك إلا قد حُرِّمْت عليه"[٥] قالت: "ما ذكر طلاقاً" وجادلت رسول الله ﷺ مراراً ثم قالت: اللهم إنى أشكو إليك شدة وحدتى وما يشق عَلَىَّ من فراقه، وفى رواية[٦] أشكو إلى الله تعالى فاقتى وشدة حالى، وإن لى صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم

---

[١] هو سيدنا أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهد بن ثعلبة بن غنم أخو سيدنا عبادة بن الصامت -رضى الله عنهما وعن الجميع- شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ قال الإمام ابن عباس -رضى الله تعالى عنهما وعن الجميع-: أول ظهار كان فى الإسلام من أوس بن الصامت وكانت تحته بنت عم له، وكان -رضى الله تعالى عنه- شاعراً وسكن هو وشداد بن أوس الأنصارى بيت المقدس وتوفى بالرملة من أرض فلسطين سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ومات أخوه عبادة بالرملة وقيل ببيت المقدس، انظر: أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير جـ١ ص١٧٢ ط الشعب والإصابة جـ١ ص١٣٧١ ط مكتبة الكليات الأزهرية.

[٢] يقول الإمام أبو سليمان الخطابى –رضى الله تعالى عنه وأرضاه- ليس المراد من اللمم فى هذا الخبر الخبل والجنون إذ لو كان به ذلك –ثم ظاهر فى تلك الحالة- لم يكن يلزمه شئ. بل معنى اللمم هنا الإلمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان إليهن، انظر: الرازى جـ١٥ ص٤٢٠ والخازن جـ٧ ص٤٨ قلت ويدل على ما قال إمامنا الخطابى - رحمه الله تعالى- ظاهر الخبر حيث إن سيدنا أوس - رضى الله تعالى عنه- لما ظاهر من زوجه خرج ساعة فى نادى قومه ثم عاد بعد ذلك محاولاً ما اراد منها وأنه واثبها فغلبته وخرجت حتى أتت النبى ﷺ تستفتيه.

[٣] تريد كثر ولدى.

[٤] انظر: الطبرى جـ٢٨ ص٣ من رواية سيدنا عكرمة عن سيدنا ابن عباس -رضى الله عن الجميع- وكذا الرواية التى تليها عنه أيضاً.

[٥] انظر: رواية الطبرى بسنده عن سيدنا محمد بن كعب القرظى جـ٢٨ ص٤ وتفسير البحر جـ١٠ ص١٢٠ وتفسير الإمام الرازى جـ١٥ ص٤١٩ ط دار الغد العربى.

[٦] انظر: تفسير الإمام الطبرى جـ٢٨ ص٤.

إلىَّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إنى أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك، وما برحت حتى نزل القرآن الكريم فيها فقال رسول الله ﷺ: "يا خَوْلةُ أبشرى" قالت خيراً؟ فقرأ عليه الصلاة والسلام عليها قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ..... الآيات إلى قوله تعالى: (فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

وفى رواية الإمام أحمد: "قالت فقال رسول الله ﷺ: (مُريه فلعتق رقبة) قالت: يا رسول الله ما عنده ما يعتقه، قال: (فليصم شهرين متتابعين) قالت: فقلت يا رسول الله: والله إنه لشيخ ما له من صيام، قال: (فليطعم ستين مسكيناً وسقا من تمر) [1].

قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده قالت: فقال رسول الله ﷺ (فإنا سنعينه بعرق من تمر) [2]. قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر قال: (قد أصبت فاذهبى فتصدقى به عنه، ثم أستوصى بابن عمك خيراً. قالت: ففعلت) [3].

وعند الإمام ابن ماجه وغيره من رواية على بن محمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة بن الزبير عن السيدة عائشة –رضى الله تعالى عنها وأرضاها- قالت: "الحمد لله الذى وَسِع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادِلة إلى النبى ﷺ وأنا فى ناحية البيت، تشكو زوجها وما أسمع ما تقول[4] فأنزل الله تعالى: (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا .....)[5].

قصة ظهار شبيهة بقصة السيدة خولة ظنها بعض أهل العلم أنها هى سبب نزول الآيات الكريمات

أخرج الأئمة ابن ماجة والترمذى وأبو داود واللفظ له من طريق سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر البياضى – رضى الله تعالى عنه- قال: (كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يصيب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتى شيئاً يتابع[6] بى حتى أصبح، فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان، فبينا هى تخدمنى ذات ليلة إذ تكشف لى

---

[1] الأصل فى الوَسق: الحمل، قيل هو: ستون صاعاً بصاع النبى ﷺ انظر: اللسان جـ٦ ص٤٤١ والمختار ص٧٢١ مادة (و س ق).

[2] فى أبى داود –رضى الله تعالى عنه- عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: (يعنى بالعرق زنبيلاً يأخذ خمسة عشر صاعاً) سنن أبى داود كتاب الطلاق جـ٢ ص٢٦٧.

[3] أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ٦ ص٤١٠، ٤١١ المكتب الإسلامى والإمام أبو داود فى سننه فى كتاب الطلاق باب فى الظهار تحت رقم: ٢٢١٤، ٢٢١٥ جـ٢ ص٢٢٦، ٢٦٧ ط دار الفكر والحاكم وصححه جـ٢ صـ ٤٨١، والإمام البيهقى فى السنن الكبرى جـ٧ ص٣٨٩ ورواه الإمام الواحدى فى كتابه أسباب النزول تحت رقم: ٨٤٣ ص٣٤٨ ط دار الحديث القاهرة - قال محقق كتاب أسباب النزول للواحدى وفى إسناده معمر بن عبد الله بن حنظلة انفرد عنه ابن إسحاق ولم يوثقه إلا ابن حبان، وقد ذكر إمامنا الطبرى بإسناده عن سيدنا ابن عباس وقتادة وأبى إسحاق وعروة بن الزبير قصة الظهار هذه فى تفسيره جـ١٧ ص٢٥٨، ٢٥٩، والإمام ابن كثير فى تفسيره جـ٤ ص٣١٨ والإمام الخازن جـ٧ ص٤٢ والبغوى على هامش الخازن جـ٧ ص٤٢ ط مصطفى الحلبى والواحدى فى كتابة أسباب النزول ص٣٤٧، ٣٤٩ والسيوطى فى لباب النقول ص٢٦٤ والألوسى فى تفسيره جـ٢٨ ص٤، ٥ والشوكانى فى تفسيره جـ٥ ص٢٣٩، ٢٤٠ والإمام ابن حجر فى الفتح جـ١٥ ص٣٢٦ ط مكتبة نزار مصطفى الباز الرياض مكة المكرمة، وقال ابن حجر فى الفتح: وقد أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام.

[4] يقول الإمام ابن حجر فى الفتح: ومرادها بهذا النفى مجموع القول لأنه فى رواية أبى عبيدة بن معن إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها وتقول: (أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى ....) الحديث (فتح البارى) جـ١٥ ص٣٢٦ قلت: وقد خرج هذه الرواية التى أشار إليها ابن حجر الإمام ابن ماجه أيضاً فى كتاب الطلاق/ من سننه/ باب / الظهار تحت رقم: ٢٠٦٣ جـ١ ص٦٦٦ وقد جاء ذلك عنها أيضاً فى رواية ابن أبى حاتم كما ذكر ابن كثير فى تفسيره جـ٤ ص٣١٨.

[5] أخرجه الإمام ابن ماجه فى المقدمة تحت رقم: ١٨٨ جـ١ ص٦٧ ط دار الريان للتراث، كما أخرجه الإمام النسائى فى سننه فى كتاب/ الطلاق باب/ الظهار تحت رقم: ٣٤٦٠ وذكره الإمام البخارى تعليقاً فى كتاب/ التوحيد/ باب "وكان الله سميعاً" بصيرا برقم: ٧٣٨٥ جـ٥ ص٣٢٤. والإمام الحاكم فى كتاب التفسير من مستدركه جـ٢ ص٤٨١.

[6] أى يلازمنى فلا أستطيع الفكاك منه.

منها شيئ، فلم ألبث أن نَزَوْتُ عليها، فلما أصبحتُ خرجت إلى قومى، فأخبرتهم الخبر، وقلت: امشوا معى إلى رسول الله ﷺ قالوا: لا والله، فانطلقت إلى النبى ﷺ فأخبرته، فقال: "أنت بذاك يا سلمة"؟ قلت: أنا بذاك يا رسول الله، مرتين وأنا صابر لأمر الله فاحكم فى ما أراك الله، "قال حرِّرْ رقبة" قلت: والذى بعثك بالحق ما أملك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتى، قال: "فصم شهرين متتابعين" قال: وهل أصبت ما أصبت إلا من الصيام؟ قال: "فأطعم ستين مسكيناً وسقا من تمر بين ستين مسكيناً" قلت والذى بعثك بالحق لقد بتنا وحشين[1] مالنا طعام، قال: "فانطلق إلى صاحب صدقة بنى زريق فليدفعها إليك،فأطعم ستين مسكيناً وسقا من تمر، وكل أنت وعيالك بقيتها" فرجعت إلى قومى فقلت: وجدتُ عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند النبى ﷺ السعة وحسن الرأى، وقد أمرنى أو أمر لى، بصدقتكم زاد ابن العلاء: قال ابن إدريس: "بياضة بطن من بنى زريق"[2].

هكذا أخرج أئمتنا المحدثون ولم يذكر واحد منهم أن الآيات البينات نزلت بسبب ذلك.

وقد نسب الإمام ابن عطية[3] إلى النقاش أن الآيات الكريمات نزلت بسبب قصة سلمة هذه، والحق أن القول بهذا الرأى قول مجانب للصواب مخالف للواقع يظهر ذلك من عدة نواح أظهرها:

١- تظاهر الروايات الكثيرة على أن قصة السيدة خولة وزوجها أوس -رضى الله تعالى عنهما- هى سبب نزول الآيات البينات بل إن فى رواية الإمام أحمد –رضى الله تعالى عنه- قسم السيدة خولة على ذلك حيث قالت: "والله فِيَّ وفى ابن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة .... الحديث"[4].

٢- ما فى ظاهر هذه الروايات المتظاهرة من شكاية السيدة خولة لسيدنا رسول الله ﷺ ما كان من زوجها وتعقيب الروايات عن السيدة عائشة –رضى الله تعالى عنها- المعاينة للقصة بقولها: فما برحت حتى نزل جبريل –عليه السلام- بهؤلاء الآيات: (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا .....)[5] الآيات

أو بقولها بعد سرد الحادثة (فأنزل الله) قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ .... الآيات[6] وهذه العبارة نص فى سبب النزول كما قرر ذلك علماؤنا الأماجد.

٣- فى رواية سيدنا سلمة –رضى الله تعالى عنه وأرضاه- أنه هو الذى ذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما كان من أمره بينما الآيات البينات تدل على أن السائل والشاكى امرأة لا رجل وقد سميت السورة الكريمة بوصفها.

٤- كما أن رواية السيدة خولة رضى الله تعالى عنها وأرضاها هى المتطابقة مع الآيات البينات من ناحية أخرى، فهى التى جادلت رسول الله ﷺ حرصاً على بيتها وزوجها وأولادها ولم يكن من ذكر جدال فى رواية سيدنا سلمة بن صخر - رضى الله تعالى عنه وأرضاه-.

٥- هذا وفوق ما مر فقد جاء فى "الأسماء والصفات عند الإمام البيهقى "أن السيدة خولة – رضى الله تعالى عنها وأرضاها- لقيت سيدنا عمر بن الخطاب وهو يسير مع ناس من أصحابه فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها، ووضع يده على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل: "يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال: ويحك أتدرى من هذه؟ قال: لا قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة

---

[1] يريد جائعين. قال فى اللسان: الوَحْشُ والموُحِشُ: الجائع من الناس وغيرهم لخلوه من الطعام، وتوحش جوفه: خلا من الطعام، اللسان مادة وحش جـ٦ ص٤١٠.

[2] أخرجه الإمام أبو داود فى / كتاب/ الطلاق / باب فى الظهار جـ٤ ص٢٦٥، ٢٦٦ برقم: ٢٢١٣ والإمام الترمذى فى كتاب/ التفسير/ جـ٥ ص٤٠٦ برقم: ٣٢٩٩ وابن ماجه فى كتاب/ الطلاق / باب / الظهار جـ١ ص٦٦٥ برقم: ٢٠٦٢، والترمذى فى كتاب التفسير فى تفسير "سورة المجادلة" تحت رقم: ٣٣٥٣، تحفة الأحوذى جـ١٠ ص١٨٨ – وقال: حديث حسن.

[3] المحرر الوجيز جـ٥ ص٢٧٢ ط دار الكتب العلمية.

[4] مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ٦ ص٤١٠، ٤١١ ط المكتب الإسلامى عن سيدنا عبد الله بن سلام –رضى الله تعالى عنه وعن الجميع-.

[5] انظر: كما فى رواية ابن ماجة فى كتاب/ الطلاق / باب / الظهار / جـ١ ص٦٦٦.

[6] كما فى رواية البخارى فى كتاب التوحيد وقد رواها تعليقاً –كما مر- وقد وصل هذا الحديث الإمام ابن ماجة فى سننه جـ١ ص٦٧ والنسائى فى سننه تحت رقم: ٣٤٦٠ وفى تفسيره تحت رقم: ٥٩٠ جـ٢ ص٣٩٠/ كما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ٦ ص٤٦ والحاكم فى مستدركه جـ٢ ص٤٨١ وصححه ووافقه الحافظ الذهبى.

بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف حتى أتى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها[1] وفى رواية للإمام البخارى فى تاريخه أنها قالت له: قف يا عمر فوقف فأغلظت له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم فقال –رضى الله تعالى عنه-: وما يمنعنى أن أستمع إليها وهى التى اسمتع الله تعالى لها: فأنزل فيها: "قد سمع الله" ..... الآيات"[2].

وعند الآلوسى فى تفسيره أنه رضى الله تعالى عنه وأرضاها كان يكرمها إذا دخلت عليه ويقول: "قد سمع الله تعالى لها"[3].

وكل هذا يدل على أن سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة ما ذهب إليه جمهور العلماء وهو قصة السيدة خولة مع زوجها سيدنا أوس بن الصامت -رضى الله تعالى عنهما- وذهابها إلى رسول الله ﷺ.

أما ما نسبه الإمام ابن عطية –رحمه الله تعالى- إلى الإمام النقاش –رحمه الله تعالى- من أن قصة سيدنا سلمة بن صخر البياضى هى سبب نزول الآيات الكريمات فهو كلام مجانب للصواب كما ذكرت، ولعل قصة سيدنا سلمة قد حدثت ولم يكن قد علم رضوان الله تعالى عليه بنزول الآيات- كما يدل لذلك ظاهر الرواية- فأعلمه المصطفى ﷺ بنزول الحكم فى مثل قضيته فظن البعض أنها هى سبب النزول.

والله أعلم

---

[1] الأسماء والصفات للإمام البيهقى ص٥٢٩ عن سيدنا أبى يزيد المدينى ط الكتب العلمية، وانظر: كتاب "العلو للعلى الغفار" للحافظ الذهبى ص٧٨ رقم: الخبر ١٦٩ ط أضواء السلف بالرياض ١٩٩٥ تحقيق: أبى محمد أشرف بن عبد المقصود، كما ذكر هذا الخبر الإمام ابن القيم فى حاشيته على مختصر سنن أبى داود جـ١٣ ص١٧٠ وعزاه إلى البيهقى ط دار الكتب العلمية، كما ذكره الإمام ابن عبد البر فى الاستيعاب جـ٤ ص١٨٣١ ط الجيل بيروت تحقيق على محمد البجاوى، والإمام ابن حجر فى الإصابة جـ٧ ص٦٢٠.

[2] انظر: الآلوسى جـ١٥ ص٥ ، القرطبى جـ٢٧ ص٢٥٨.

[3] الآلوسى جـ١٥ ص٥.

المباحث العربية

قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ .....)

[قد] للتحقيق، أو للتوقع يقول الإمام الألوسى: "وهو: -أى التوقع- مصروف إلى تفريج الكرب لا إلى السمع لأنه محقق، أو إلى السمع لأنه مجاز أو كناية عن القبول والإجابة والمراد توقع المخاطب ذلك، وقد كان ﷺ يتوقع أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عن المجادلة كربها"(١).

ولفظ الجلالة: [الله] فاعل الفعل [سمع] مرفوع بالضمة والمفعول به قوله تعالى [قَوْلَ] منصوب بالفتحة الظاهرة و[تجادلك] جملة فعلية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول: [التى] و[تجادل] فعل مضارع مرفوع بالضمة وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره [هى] والكاف ضمير المخاطب متصل مبنى على الفتح فى محل نصب لأنه مفعول به.

والمجادلة: "رفع القول على طريق الحجة بالقوة"(٢) مأخوذة من الجدْل وهو شدة الفتل كأن كل واحد من المتجادلين يفتل الآخر عن رأيه"(٣).

"وتكون المجادلة حقاً فى نصرة الحق وباطلاً فى نصرة الباطل"(٤).

وكانت السيدة خولة –رضى الله تعالى عنها وأرضاها- تجادل المصطفى ﷺ قاصدة بذلك أن يحكم –عليه الصلاة والسلام- حكماً مِنْ شأنه أن يحفظ لبيتها الإئتلاف وعدم الافتراق ومجادلتها له أنه كلما قال لها ﷺ: "حرمت عليه قالت: والله ما ذكر طلاقاً" فكانت تراجع النبى صلوات ربى وتسليماته عليه بذلك حرصاً على زوجها وأولادها وبيتها.

وقد استحضرت -رضى الله تعالى عنها وأرضاها- بعنوان الصلة تنويها بمجادلتها وشكواها، لأنها دلت على توكلها الصادق على رحمة الله تعالى بها وبأبنائها وبزواجها (وتعلق فعل [التجادل] بالكون [فى زوجها] على نية مضاف معلوم من المقام فى مثل هذا بكثرة أى فى شأن زوجها وقضيته(٥) كقوله تعالى: (تُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ)(٦) وقوله: (وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ)(٧) وقوله تعالى: (وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ) فيه وجهان إعرابيان:

أظهرهما: أنه عطف على جملة [تجادلك] وعليه فلا محل للجملة من الإعراب لأنها صلة مثلها.

الوجه الثانى: أن تكون فى محل رفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره [هى] وتكون جملة المبتدأ والخبر فى محل نصب على الحال والتقدير تجادلك شاكية حالها إلى الله تعالى)(٨).

والشكو والشكاية والشكاة والشكوى: إظهار البث، يقال: شكوت وأشكيت ويقال: أشكاه أى: أزال شكايته وأصل الشكو فَتْحُ الشكوة وإظهار ما فيها: وهى سِقاءٌ صغير يجعل فيه الماءُ ثم شاع استعماله فى ذلك(٩).

واشتكاؤها – رضى الله تعالى عنها وأرضاها-: إليه تعالى معناهُ: إظهار بثها وما انطوت عليه من الغم والهم وتضرعها إليه سبحانه جلَّ فى عُلاهُ.

والأكثر: أن تكون الشكاية لقصد طلب إزالة الضر الذى يشتكى منه وهى هنا كذلك.

---

(١) الألوسى ٥/١٥.
(٢) القرطبى جـ٧ ص٧٨.
(٣) راجع بصائر ذوى التميز جـ٢ ص٣٧٣، والمفردات ص٨٧ واللسان جـ١ ص٣٩١.
(٤) القرطبى ٧٨/٧.
(٥) التحرير والتنوير ٩/٢٨.
(٦) سورة هود (٧٤).
(٧) سورة هود (٣٧).
(٨) انظر: الدر المصون ٢٦١/١٠، والألوسى ٤/١٥ والعكبرى على هامش الجمل ٢٨٧/٤، والجدول فى إعراب القرآن الكريم وصرفه جـ١٢ ص٢٨٧ والإعراب المفصل لكتاب الله المرتل جـ٢٨ ص٤١٨.
(٩) راجع المفردات ص٢٧٣ والبصائر ٣٤٢/٣ واللسان ٤٦٥/٣.

قوله تعالى: (وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ) الواو عاطفة ولفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة وجملة [يسمع] المكونة من الفعل والفاعل المقدر فى محل رفع خبر المبتدأ. والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب وهو تفاعل من حار إذا أجاب فالتحاور حصول الجواب من جانبين وذلك يقتضى مراجعة بين شخصين[1].

وجئ بصيغة المضارع لاستحضار حالة مقارنة علم الله تعالى لتحاورهما زيادة فى التنويه بشأن ذلك التحاور، وجملة: [إن الله سميع بصير] لا محل لها لأنها تعليلية وهو: تعليل بطريق التحقيق، أى إنه تعالى يسمع كل المسموعات ويبصر كل المبصرات على أتم وجه وأكمله، ومن قضية ذلك أن يسمع سبحانه وتعالى تحاورهما، ويرى جل فى علاه ما يقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع، والاسم الجليل فى الموضعين لتربية المهابة، وتعليل الحكم بما اشتهر به الاسم الجليل من وصف الألوهية وتأكيد استقلال الجملتين[2].

قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ).

[الذين] اسم موصول فى محل رفع مبتدأ والجملة الفعلية بعده صلته فلا محل لها من الإعراب، و[منكم] جار ومجرور متعلق بحال محذوفه من الاسم الموصول والتقدير: حال كونهم منكم، وفيه توبيخ وتهجين للعرب لأن الظهار كان مخصوصاً بهم ولهذا قال تعالى [منكم] وفى قوله تعالى: [يظاهرون] عدة قراءات:

فقراءة الأئمة ابن عامر[3] وحمزة[4] والكسائى[5] وخلف[6] [يظاهرون] بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وتخفيف الهاء على أن أصله: يتظاهرون فأدغمت التاء فى الظاء لقرب مخرجيهما.

وقرأ الأئمة نافع[7] وابن كثير[8] وأبو عمرو[9] ويعقوب[10] [يظهرون] بحذف الألف وتشديد الظاء والهاء مفتوحتين وفتح الياء على أن أصله يَتَظَهرَّون فأدغمت التاء فى الظاء.

---

(1) راجع اللسان ١٨٢/٢، المختار ص١٦١ والتحرير والتنوير ٩/٢٨.

(2) انظر: أبا السعود جـ٧ ص٢١٦ والألوسى ٦/١٥ والجمل ٢٩٩/٤، ٣٠٠.

(3) هو: سيدنا عبد الله بن عامر اليحصبى إمام أهل الشام فى القراءة يكنى أبا عمران وقيل: أبا نعيم وأخذ القراءة عَرْضاً عن المغيرة بن أبى شهاب عن عثمان بن عفان رضى الله عنه وعن الجميع، عن رسول الله ﷺ راجع معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار جـ١ ص٨٢ ترجمة رقم: (٣٣) ط مؤسسة الرسالة.

(4) هو: سيدنا حمزة بن حبيب مولى عكرمة بن ربعى التيمى الزيات أحد القراء السبعة قرأ عليه الكسائى وسليم بن عيسى وغيرهما كان إماما حجة، قيما بكتبا الله تعالى حافظا للحديث بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً قانتاً لله تعالى. (راجع معرفة القراء= الكبار على الطبقات والأعصار جـ١ ص١١١ ترجمة رقم: (٤٣) ط مؤسسة الرسالة حققه وقيد نصه وعلق عليه أ/بشار عواد معروف أ/شعيب الأرنا ؤوط، أ/ صالح مهدى عباس وانظر: طبقات بن سعد جـ٦ ص ٣٨٥ ووفيات الأعيان لان خلكان جـ٢ ص٢١٦.

(5) هو: سيدنا الإمام على بن حمزة الكسائى مولاهم الكوفى المقرئ النحوى سمع من سيدنا جعفر الصادق والأعمش وسليمان بن أرقم، وجماعة وقرأ القرآن وجودة على سيدنا حمزة الزيات وعيسى بن عمر بن الهمدانى "انظر: معرفة القراء الكبار جـ١ ص١٢٠ ترجمة رقم: (٤٥) وانظر: الفهرست لابن النديم ص٢٩ ووفيات الأعيان جـ٣ ص٢٩٥ وطبقات المفسرين للداودى جـ١ ص٣٩٩.

(6) هو سيدنا خلف بن ثعلب قرأ على سُليم عن حمزة وسمع مالكاً وابا عوانة وحماد بن زيد وغيرهم، وثقة ابن معين والنسائى وقال الدارقطنى: كان عابداً فاضلاً، انظر: معرفة القراء الكبار جـ١ ص٢٨، ٢٩ ترجمة رقم: ١٠٣، وطبقات ابن سعد جـ٧ ص٨٧ والتاريخ الكبير للبخارى جـ٣ ص١٩٦، والصغير جـ٢ ص٣٥٨.

(7) هو: سيدنا نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى المقرئ المدنى قرأ على طائفة من تابعى أهل المدينة. راجع معرفة القراء الكبار جـ١ ص١٠٧ ترجمة رقم: (٤١).

(8) هو: سيدنا عبد الله بن كثير الدارى المكى، إمام المكيين فى القراءة، معرفة القراء الكبار جـ١ ص٨٦، ٨٧ ترجمة رقم: ٣٤.

(9) هو: سيدنا أبو عمرو بن العلاء المازنى المقرئ البصرى الإمام اسمه زبان على الأصح، راجع معرفة القراء الكبار جـ١ ص١٠٠ ترجمة رقم: (٣٩)، وانظر: البداية والنهاية للإمام ابن كثير جـ١٠ ص١١٣، وسير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى جـ٦ ص٤٠٧-٤١٠.

(10) هو: سيدنا يعقوب بن إسحاق الحضرى قارئ أهل البصرة فى عصره سمع من سيدنا حمزة الزيات، وشعبة، وهارون بن موسى النحوى وغيرهم انظر: معرفة القراء الكبار جـ١ ص١٥٧ ترجمة رقم: (٦٥)، وانظر: طبقات ابن سعد جـ٧ ص٣٠٤ والفهرست لابن النديم ص٣٠.

وقرأ الأئمة عاصم[١] وأبو العالية[٢] وزر بن جبيش [يُظاهِرُونَ] بضم اليـاء

[١] هو: سيدنا عاصم بن أبى النجود الأسدى أحد السبعة واسم أبيه بهْدل على الصحيح قرأ القرآن على سيدنا أبى عبد الرحمن السلمى، وزر بن حبيش الأسدى وحدث عنهما وعن أبى وائل، ومصعب بن سعد بن أبى وقاص وجماعة -رضى الله عنهم-، انظر: معرفة القراء الكبار جـ١ ص٨٨ ترجمة رقم: (٣٥).

[٢] هو سيدنا أبو العالية الرياحى رفيع بن مهرن البصرى أسلم فى خلافة سيدنا أبى بكر الصديق –رضى الله عنه وعن الجميع- قال أبو عمر الدانى: أخذ القراءة عرْضاً عن أُبَى وزيد بن ثابت وابن عباس، ويقال قرأ على عمر –رضى الله عنهم جميعاً-، انظر: معرفة القراء الكبار جـ١ ص٦٠، ٦١ وطبقات ابن سعد جـ٧ ص٦١٢ وطبقات المفسرين للداودى جـ١ ص١٧٢، ١٧٣.

وتخفيف الظاء والألف وكسر الهاء على أنه مضارع ظاهر[1] قال: أبو جعفر الطبرى بأى هذه القراءات الثلاث قرأ القارئ فمصيب[2] ولفظ الظهار مشتق من الظهر ومأخوذ منه.

قال صاحب اللسان: "وإنما خصوا الظهر دون البطن والفخذ والفرج وهذه أولى بالتحريم، لأن الظهر موضع الركوب، والمرأة مركوبة إذا غُشيت فكأنه إذا قال: أنت علىَّ كظهر أمى، أراد: ركوبك للنكاح علىَّ حرام كركوب أمى للنكاح فأقام الظهر مُقام الركوب لأنه مركوب وأقام الركوب مقام النكاح لأن الناكح راكب، وهذا من لطيف الاستعارات للكناية، وقال ابن الأثير قيل: أرادوا أنت على كبطن أمى أى كجماعها، فكنوا بالظهر عن البطن للمجاورة قال: وقيل: إن اتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان حراماً عندهم، وكان أهل المدينة يقولون: إذا أُتِيَتْ المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول، فلقصد الرجل المطلق[3] منهم إلى التغليظ فى تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر، ثم لم يقنع بذلك حتى جعلها كظهر أمه"[4].

قوله تعالى: (مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ) [ما] نافية تعمل عمل ليس وضمير الغائبات فى محل رفع أسمها، وخبرها [أمهات] منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة وضمير الغائبين فى محل جرّ بالإضافة والجملة فى محل رفع خبر المبتدأ (الذين).

أى ليس أزواجهم أمهات لهم بهذا القول الذى يخرج من أفواههم ولهذا قال تعالى فى سورة الأحزاب الكريمة: (وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وقال هاهنا: (إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ) وهذا قصر حقيقى واقع موقع التعليل للمقصود من قوله تعالى: (مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ) أى ليست الزوجات المظاهر منهن بصائرات أمهات بهذا الظهار، لانعدام حقيقة الأمومة منهن إذ هُنّ لم يلدن القائلين صيغة الظهار.

وفى هذا تمهيد لطيف وتوطئة رائعة لإبطال أثر صيغة الظهار فى تحريم الزوجة، بما يشير إلى أن الأمومة حقيقة واقعة لا تكون بالقول الذى لا يغير حقائق الأمور.

قوله تعالى: (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ) معطوف على ما قبله، زيادة فى التوبيخ وبيان كون الظهار قبيح لما فيه من تعريض حُرمَةُ الأم لتخيلات غير مرضية ذوقاً ولا عرفاً.

والمنكر هو: كل ما قَبحَّه الشرع وحَرّمه وكرهه وهو ضد المعروف.

والزور هو: الكذب والباطل والتهمة.

والمعنى: وإن هؤلاء المظاهرين ليقولون بتلفظهم هذا منكراً من القول قبيحاً وحراماً وزوراً كذباً وباطلاً.

---

[1] راجع تفسير الإمام ابن جرير الطبرى ٧/٢٨، والرازى ٤٢١/١٥، ٤٢٧، والبغوى على هامش الخازن والخازن ٤٣/٧، وزاد المسير ١٨٢/٨، والقرطبى ٢٦١/١٧، والبحر المحيط ١٢١/١٠، الجلالين والجمل ٣٠٠/٤، النسفى ٢٣١/٤، والألوسى ٧/١٥ وفتح القدير ٢٣٧/٥ وإعراب القرآن الكريم للنحاس جـ٤ ص٣٧١، ٣٧٢، والنشر ص١٧٩، والإقناع ٧٨٢/٢ ، واللسان ٢٣٥/٤، ٢٣٧/٥.

[2] انظر: تفسيره جـ٢٨ ص٧.

[3] كان الظهارُ عند العرب فى جاهليتهم يعد طلاقاً وقيل: إنه كان طلاقاً يوجب حرمة مؤبدة لا رجعة فيه وقيل: كانوا يعدونه طلاقاً مؤكداً باليمين.

[4] النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ٣ ص١٦٥ ط المكتبة الإسلامية وانظر: اللسان ٢٣٥/٤ وراجع الألوسى جـ١٥ ص٢٢ فى تفسير سورة الأحزاب الكريمة، جـ١٥ ص٧ فى تفسير سورة المجادلة الكريمة وانظر: نظم الدرر ٤٨١/٧ وما بعدها.

(وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) [العفو] الكثير العفو و[الغفور] الكثير الغفران أى: وإن [الله] الملك الأعظم الذى لا أمر لأحد معه فى شرع ولا غيره [لعفو غفور]: مبالغ فى العفو والمغفرة لمن يتوب ويعود إلى صوابه ويسير فى فلك الشرع الحكيم.

ولعل تأكيد خبر [إن] هنا فى قوله تعالى: [لعفو غفور] لمشاكلة تأكيد مقابله فى قوله تعالى: (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ) وفى هذا مزيد لطف ورحمة من الله تعالى بخلقه، وإيناس لهم بأنه تعالى من صفاته ترك عقاب من شاء ومحو ذنب من أناب.

قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) معطوف على الآية السابقة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال مثلاً: فإن عادوا لما قالوا فعليهم كذا أو فالواجب عليهم أو فيلزمهم لكنه جيئ باسم الموصول [الذين] للاهتمام بهذا الحكم والتصريح بأصحابه.

وهذا الموصول: مبتدأ وقوله تعالى: [فتحرير رقبة] مبتدأ آخر وخبره مقدر أى: فعليهم. أو فاعل بفعل مقدر أى فيلزمهم تحرير، أو خبر مبتدأ مضمر أى: فالواجب عليهم تحرير. وعلى التقادير الثلاثة فالجملة خبر لمبتدأ (الذين)، ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط.

[من قبل أن يتماسا] ضمير التثنية للمظاهر والمظاهر منها وهو مبنى على السكون فى محل رفع فاعل لـ[يتماسا] المنصوب بأن.

[ذلكم توعظون به] الإشارة إلى الحكم المذكور وهو [تحرير رقبة] واسم الإشارة مبتدأ خبره قوله تعالى: [توعظون به] فهو فى محل رفع والوعظ: "هو التذكير بالخير والتحذير من الشر بترغيب أو ترهيب" [والله بما تعملون خبير] تذييل للجملة السابقة أى: والله تعالى عليم بجميع ما تعملونه من هذا التكفير الذى أمرتم به وبغيره من جميع أعمالكم[1].

قوله تعالى: (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ) .

الفاء فى قوله تعالى: [فمن] استئنافية و[من] اسم شرط جازم مبنى على السكون فى محل رفع مبتدأ والجملة من فعل الشرط [يجد] وجوابه وهو قوله تعالى [فصيام] فى محل رفع خبر المبتدأ، ومفعول [يجد] محذوف للعلم به أى [فمن لم يجد] الرقبة فعليه [صيام شهرين] والفاء فى [فصيام] رابطة لجواب الشرط [ومتتابعين] صفة لـ[شهرين] [من قبل أن يتماسا] أعيد هذا القيد الكريم للدلالة على أنه لا يكون المسُّ إلا بعد انقضاء الصيام فلا يظن أن مجرد شروعه فى الصيام كاف فى الاستمتاع.

[فمن لم يستطع] لعجز أو لضعف [فإطعام ستين مسكيناً] أى فعليه أن يطعم [ستين مسكيناً] و[ستين] مجرورة بالياء لأنها ملحقة بجمع المذكر السالم، وهى من ألفاظ العقود، وزنتها (فعلين) و[مسكيناً] تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.

---

[1] راجع الدر المصون جـ١٠ ص٢٦٤، وأبا السعود جـ٧ ص٢١٦، والقرطبى جـ١٧ ص٢٦٧، ٢٧٠، والنسفى جـ٤ ص٢٣٢، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن الكريم للإمام أبى البقاء العكبرى على هامش الجلالين جـ٤ ص٣٨٨، وإعراب القرآن الكريم للإمام النحاس جـ٤ ص٣٧٣، وتفسير البحر جـ١٠ ص١٢٣، ونظم الدرر جـ٧ ص٤٨٣، ٤٨٤، وزاد المسير جـ٨ ص١٨٥، والألوسى جـ١٥ ص٨-١٩، وفتح القدير جـ٥ ص٢٣٨.

قوله تعالى: (ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

[ذلك] الإشارة بذلك إلى ما تقدم ذكره من الأحكام من عتق الرقبة وصيام شهرين متتابعين والإطعام أى ذلك المذكور، واسم الإشارة فى محل رفع مبتدأ وخبره محذوف تقديره واقع ويجوز أن يكون فى محل نصب بفعل مضمر تقديره فعلنا [ذلك لتؤمنوا.....] [وتلك حدود الله] الإشارة بـ[تلك] إلى ما أشير إليه بـ[ذلك] وجيئ باسم إشارة التأنيث نظراً للإخبار عنه بلفظ [حدود] إذ هو جمع يجوز تأنيث إشارته كما يجوز تأنيث ضميره ومثله قوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ)[1] .

"وأصل الحد: المنع والفصل بين الشيين، وسميت أحكام الله تعالى وشرائعه التى شرعها لعباده حدوداً لأنها فصلت بين الحلال والحرام[2]. [وللكافرين عذاب أليم] أى وللذين يتعدون هذه الأحكام ولا يعملون بها: [عذاب أليم] على كفرهم، وأطلق الكافر على متعدى الحدود تغليظاً لزجره كما قال تعالى: (وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ)[3] فقد ذهبت طائفة من المفسرين إلى أن المراد بـ[من كفر] من لم يحج وأنه تعالى عبر عن من لم يحج بذلك تغليظاً وتشديداً عن تارك الحج وهو قادر عليه[4].

المعنى العام للآيات البينات

يبين الله تعالى فى الآية الأولى من هذه الآيات الأربع الكريمة أنه تعالى سمع وأجاب شكوى الصحابية الجليلة السيدة خولة بنت ثعلبة رضى الله تعالى عنها وأرضاها التى جاءت إلى النبى ﷺ تجادله وتحاوره فى شأن زوجها الذى ظاهر منها، وتشتكى إلى الله تعالى ما أغمها وما أحزنها، فهو سبحانه جل فى علاه سمع ما كانت تراجع به المصطفى ﷺ حفاظاً على بيتها وأولادها وزوجها لأنه سبحانه يسمع كُلَّ مسموع، ويبصر كُلَّ مبصر على أتم وجه وأكمله ومن جملة ذلك تلك المحاورة والشكاية، ومن رحمته تعالى ورأفته بعباده أنه جل فى علاه لم يخيب رجاءها وتوقعها من الكريم المتعال فَفَرَّجَ عنها كَرْبها وأزاح عنها حزنها وأبعد عنها ما أهمها فشنع على المظاهرين فعلهم ووبخ قولهم وشرع كفارة لهذا الظهار الذى كان مشهوراً عند العرب فى جاهليتهم دون سائر الأمم حيث يقول تعالى: (ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْۚ) أى الذين يشبهون أزواجهم منكم أيها العرب بأمهاتهم حيث إن أحدهم كان يقول لزوجه التى يريد تحريمها على نفسه أنت علىَّ كظهر أمى ونحو ذلك، ما نساؤهم بأمهاتهم [إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم] أى ما أمهاتهم فى الحقيقة [إلا اللائى ولدنهم] أى ولدن المظاهرين فلا تشبه بهن فى الحرمة إلا من ألحقهن الشرع بهن كأزواج النبى ﷺ ورضى الله عنهن، والمرضعات وأزواج الآباء، لكرامتهن وحرمتهن فدخلن بذلك فى حكم الأمهات، وأما الزوجات فهن أبعد شيئ من ذلك فلا يلحقن بمن ذكرن بوجه من الوجوه.

ثم يزيد سبحانه وتعالى فعلهم هذا ذماً وتشنيعاً وتوبيخاً لأن هذا الأمر كانوا قد مُرنوا عليه واستقر فى نفوسهم فيقول تعالى: (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ) أى وإن هؤلاء المظاهرين من نسائهم ليقولون ما ينكره الشرع والعقل والطبع كما يشعر به التنكير، إذ كيف يشبهون من يسكنون إليهن ومن جعل الله بينهم وبينهن صلة خاصة لا تكون

---

[1] البقرة الآية الكريمة رقم: (٢٢٩).
[2] انظر: اللسان جـ٢ ص٣٩، والألوسى ٢١/٣.
[3] آل عمران الآية الكريمة رقم: (٩٧).
[4] راجع القرطبى ١٦٢/٤.

لأم ولا لأخت؟! كيف يشبهونهن بالأم بما يصدر منهن من قول منكر؟ إن هذا القول المنكر كذب أيضاً لأن فيه إلحاق للزوجة المحللة بالأم المحرمة أبداً، وهذا الإلحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كذباً.

وفى ختام الآية الكريمة يبين تعالى أنه تعالى عفو غفور كثير العفو والمغفرة لمن سار على شرعه ولم يخالف منهاجه القويم الذى فيه وبه كل السعادة والراحة فى الدنيا وفى الآخرة، وفى هذا فتح لباب التوبة والرجوع إليه تعالى جلّ فى علاه فهو تعالى واسع الرحمة بعباده.

وتأتى الآية الثالثة والتى بعدها وفيهما تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كون الظهار منكراً من القول وزوراً (وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) .

أى والذين يقولون هذا القول المنكر الزور [ثم يعودون لما قالوا ....] وقد اختلف العلماء فى معنى هذا العود، يقول الإمام الخازن فى تفسيره: ذهب أكثر المجتهدين إلى أن المراد: ثم يعودون إليه بالنقض والرفع والإزالة ثم اختلفوا فيه على وجوه:

الأول: وهو قول الشافعى: إن معنى (العود لما قالوا) هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلقها فيه وذلك لأنه لما ظاهر فقد قصد التحريم فإن وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من إيقاع التحريم ولا كفارة عليه، فإذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة، وفسر ابن عباس –رضى الله تعالى عنهما- العود: بالندم، فقال: "يندمون فيرجعون إلى الألفة".

الوجه الثانى فى تفسير العود: وهو قول أبى حنيفة: إنه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر إليها بشهوة، وذلك أنه لما شبهها بالأم فى حرمة هذه الأشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضاً لقوله: أنت علىَّ كظهر أمى.

الوجه الثالث وهو قول مالك: إن العود إليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول أبى حنيفة.

الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى: إن العود إليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها[1].

هذا وقت ذهب أهل الظاهر وفرقه من أهل الكلام فى معنى العود مذهباً بعيداً حيث قالوا: إن المراد بالعود هو العود إلى لفظ الظهار نفسه فيكرره فإن لم يكرره فليس ذلك بعود، يقول الحافظ ابن كثير معلاً على هذا المذهب: "وهذا القول باطل"[2].

وأقول : إن مما يدل على بطلانه أمرين:

أحدهما: أنه لم يرد فى الحديث الشريف الذى هو سبب نزول هذه الآيات الكريمات تكرار للفظ الظهار من سيدنا أوس به الصامت –رضى الله تعالى عنه- ولا سأل عن ذلك المصطفى ﷺ وقد أمره المصطفى ﷺ بالكفارة المذكورة.

ثانياً: أن كُلَّ سبب يوجب الكفارة لا يشترط فيه الإعادة والتكرار فكيف نقول به هنا.

هذا ويفهم مما سبق أن الكفارة التى شرعها الله تعالى للظهار إنما شرعها لمن قصد الاستمرار على معاشرة زوجته بعد ظهاره منها، تحلة لما قصده من التحريم، وتأديباً له على قوله المنكر وقصده الشنيع.

---

(1) الخازن جـ٧ ص٤٤ وانظر: الرازى ٤٣٠/١٥، ٤٣١، والطبرى ٧/٢٨، ٨، والبحر ١٢٢/١٠، والبغوى ٤٥/٧ على هامش الخزن، وأحكام القرآن الكريم لابن العربى ١٧٥٢/٤ وما بعدها وزاد المسير ١٨٣/٨، ١٨٤، والقرطبى جـ١٧ ص٢٦٧، ٢٦٨، وابن كثير ٣٢١/٤، وفتح القدير ٢٣٨/٥، ونظم الدرر جـ٧ ص٤٨٣، والجمل جـ٤ ص٣٠١.

(2) تفسير الحافظ ابن كثير جـ٤ ص٣٢١، وانظر: إبطال الإمام ابن العربى له فى أحكام القرآن جـ٤ ص١٧٥٣، وابن الجوزى فى زاد المسير جـ٨ ص١٨٤.

وقوله تعالى: [فتحرير رقبة] أى والذين يقولون هذا القول المنكر الكذب، إذا قصدوا بعد قولهم هذا، استمرار العلاقة الزوجية [فعليهم تحرير رقبة] أو فالواجب عليهم ذلك أو فليلزمهم ذلك وهذه الرقبة تكون عبداً أو أمة سليمة من كل عيب يخل بالعمل واختلاف الفقهاء فى كونها مؤمنة أو غير مؤمنة سيأتى فى موضع خاص بالأحكام.

[من قبل أن يتماسا] أى من قبل أى يمس الرجل المظاهر امرأته التى ظاهر منها، والظاهر فى التماس الحقيقة فلا يجوز تماسهما، قُبْلة أو مضاجعة أو نحو ذلك من وجوه الاستمتاع قبل التكفير، وقيل إن التماس كناية عن الجماع، ولفظ التماس يتناول ما سبق من الجماع ودواعيه.

(ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ) أى ذلكم الحكم بالكفارة وعظ لكم تزجرون به من ارتكاب هذا المنكر المذكور مرة أخرى، وحيطة واجتناباً لمن لم يقع فيه، ذلك أن الغرامات مزاجر من تعاطى المنكرات.

والمراد من هذا القول الكريم بيان أن القصد من هذا الحكم ليس وقوع الثواب لكم على فعله وإنما الغرض منه الزجر والاجتناب.

والله سبحانه وتعالى أيها الناس [بما تعملون خبير] من الظهار والتكفير وغير ذلك من جميع أعمالكم ومجازيكم عليها

(فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ) أى فالمظاهر الذى لم يجد الرقبة ولا ثمنها فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن أفطر بغير عذر استأنف الصوم وهذا الصوم المتتابع للشهرين يكون قبل أن يحدث تماس بين المظاهر والمظاهر منها [فمن لم يستطع] لسبب من الأسباب لكبر أو مرض لا يرجى زواله أو لضعف شديد يلحقه بسبب الصوم فعليه إطعام ستين مسكيناً لكل مسكين مد، وقيل أكثر من مُدٍّ، والمراد إشباع ستين مسكيناً يوماً من غالب قوت البلد.

يقول الإمام البقاعى: [وحذف قيد المماسة هنا لذكره فى الأولين، ولعل الحكمة فى تخصيص هذا به أن ذكره فى أول الخصال لابد منه، وإعادته فى الثانى لطول مدته فالصبر عنه فيه مشقة، وهذا يمكن أن يفعل فى لحظة لطيفة لا مشقة للصبر فيها عن المماسة] [1].

ولما بين الله تعالى حكمه الحكيم المربى للنفس التى قد تخالف فى وقت من الأوقات طبيعة دينها القويم، لما بين ذلك ذكر تعالى علة هذا الحكم ترغيباً فقال: (ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أى ذلك الذى ذكرناه من التغليظ فى الكفارة واقع أو فعلنا ذلك لتكونوا مطيعين لله تعالى واقفين عند حدود شرعه لا تتعدوها حتى لا تعودوا إلى هذا المنكر الزور، لأن فيه انفصاماً لرباط الزوجية الذى يترتب عليه آثار "سلبية كثيرة لا يحب الله تعالى أن تكون فى المجتمع المسلم، وسمى الالتزام بالكفارة إيماناً لأنه طاعة تعكس التزام صاحبها بحدود الله تعالى التى حدها تعالى لعباده، وتلك الحدود التى شرعها الله لعباده مزكية للنفس المخالفة عائدة بها إلى الطريق الحق، ومن يتعدى هذه الحدود التى هى أوامر الملك الأعظم ونواهيه والتى يجب التقيد بها والامتثال لها من يتعدها ويتجاوزها فله عذاب مؤلم فى الآخرة.

ما يؤخذ من الآيات الكريمات من أحكام وعظات

هذه الآيات البينات من صدر السورة الكريمة أخذ منها علماؤنا الأجلاء عدة أحكام وعظات من أهم هذه الأحكام وتلك العظات فوق ما مر:

١- فى سماع الله تعالى للمرأة المحاورة المجادلة واستجابته تعالى لها وإزالة شكواها ما يملأ قلب المؤمن بوجود الله تعالى ورحمته ورأفته وعنايته به أينما كان وفى ذلك أيضاً صورة وضيئة لرفعة ومكانة المرأة فى دين الله تعالى؛ حيث استجاب تعالى لامرأة فقيرة من عامة نساء المؤمنين لا يكاد يكون لها مكان بارز بين جيرانها المغمورين الفقراء، وطيب تعالى خاطرها ورد لها اعتبارها بما ذكر فى الآيات البينات.

---

[1] نظم الدرر جـ٧ ص٤٨٥.

٢- فى الآية الأولى –أيضاً- دليل على أن من التجأ إلى ربه وأخلص فى هذا الالتجاء ودعا من بيده ملكوت كل شئ كفاه الله تعالى ما أهمه وأزال عنه ما أغمه.

٣- وفيها كذلك تحريض للمرأة المسلمة على العمل على الحفاظ على بيتها وأسرتها وألا تترك الأمور التى قد تطيح ببيتها هكذا دون إيجابية منها وتدخل فورى، فللمرأة المؤمنة الحق الكامل فى الدفاع والزود عن كيان أسرتها وشؤون أولادها.

٤- قوله تعالى: (ٱلَّذِين يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ) أخذ منه العلماء أنه لا يصح ظهار المرأة من زوجها لأنه تعالى لم يقل: [واللاتى يظاهرن منكم من أزواجهن] يقول الإمام ابن العربى وهو صحيح معنى، لأن الحل والعقد والتحليل والتحريم فى النكاح بيد الرجال ليس بيد المرأة منه شئ وهذا إجماع] [١].

وقال الإمام الأوزاعى: "إذ قالت المرأة لزوجها؛ أنت عَلَىَّ كظهر أمى فلانة فهى يمين تكفرها وكذلك قال إسحاق"[٢].

٥- وقوله تعالى فى نفس الآية الكريمة [من نسائهم] أخذ منه الإمامان الشافعى وأبو حنيفة -رضى الله تعالى عنهما- أنه لا يلزم ظهار من ظاهر من امرأة قبل نكاحها، لأنها قبل النكاح ليست من نساء المظاهر"[٣].

٦- وقوله تعالى فيها أيضاً: (وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ) يؤخذ منه أن حكم الظهار حرام، بل لقد قال فقهاء الشافعية إنه من الكبائر[٤].

٧- قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ) يدل على أن كفارة الظهار لا تلزم بالقول خاصة حتى ينضم إليها العود.

٨- وهذه الرقبة التى يجب على العائدين تحريرها يجب أن تكون كاملة سليمة من كل عيب ومن كمالها إسلامها عند الإمامين مالك والشافعى؛ كالرقبة فى كفارة القتل[٥] وعند الإمام أبى حنيفة وأصحابه تجزئ الكافرة ومن فيها شائبة رق كالمكاتبة وغيرها[٦].

٩- ظاهر الآية الكريمة يدل على إيجاب الكفارة قبل المماسة، فإن جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه إلا كفارة واحدة، وهو قول أكثر أهل العلم، كمالك وأبى حنيفة والشافعى وسفيان وأحمد وإسحاق -رحمهم الله تعالى-.

وقال بعضهم "إذا واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان"[٧].

١٠- ظاهر قوله تعالى: (فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ) يدل على أن الشهرين يجب أن يكونا متتابعين فإن أفطر المظاهر العائد فى أثنائهما بغير عذر استأنفهما، وإن أفطر لعذر من سفر أو مرض، فقيل: يبنى، قاله ابن المسيب والحسن وعطاء بن أبى رباح وعمرو بن دينار والشعبى وهو أحد قولى الشافعى وهو الصحيح من مذهبه. وقال مالك: إنه إذا مرض فى صيام كفارة الظهار بنى إذا صح، ومذهب أبى حنيفة -رضى الله عنهم جميعاً أن يبتدئ وهو أحد قولى الشافعى[٨].

---

[١] أحكام القرآن جـ٤ ص١٧٥١، ط. إحياء الكتب العلمية، والقرطبى ١٧ ص٢٦٤.

[٢] القرطبى ١٧ ص٢٦٤، والرازى جـ١٥ ص٤٢٦.

[٣] انظر: القرطبى ٢٦٣/١٧، البحر ١٢٢/١٠، والأكليل فى استنباط التنزيل للإمام السيوطى ص٢٠٥ ط دار الكتب العلمية.

[٤] راجع الألوسى ٨/١٥، البحر المحيط ١٢١/١٠، والطاهر ابن عاشور جـ٢٨ ص١٣،١٢.

[٥] حملا للمطلق هنا على المقيد فى كفارة القتل فى قوله تعالى فى سورة النساء الكريمة (وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ) فى الآية الكريمة رقم: ٩٢.

[٦] راجع القرطبى جـ١٧ ص٦٩، والرازى جـ١٥ ص٤٣٥، ٤٣٦.

[٧] الرازى جـ١٥ ص٤٣٥، وانظر: ابن العربى جـ٤ ص١٧٥٤، والقرطبى جـ١٧ ص٢٦٥، ٢٧٠، والألوسى جـ١٥ ص١٨.

[٨] القرطبى ٢٧٠/١٧ ، والألوسى ٢١/١٢.

١١- قوله تعالى: فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ قال صاحب البحر والظاهر مطلق الإطعام وتخصيصه ما كانت العادة فى الإطعام وقت النزول، وهو ما يشبع من غير تحديد بمد ومذهب مالك أنه مُد وثلث بمد النبى ﷺ.

ويجب استيعاب العدد ستين عند مالك والشافعى، وهو الظاهر وقال أبو حنيفة وأصحابه: لو أطعم مسكيناً واحداً كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد أجزأه[1].

هذا وهناك أحكام أخرى كثيرة متعلقة بالظهار من أرادها فليراجعها فى كتب الأحكام وهى كثيرة والحمد لله تعالى.

[1] البحر المحيط ١٢٤/١٠ وانظر: القرطبى جـ١٧ ص٢٧٣، والرازى جـ١٥ ص٤٣٧.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن والقرات.

١- التحرير والتنوير. للإمام الطاهر بن عاشور. ط/ الدار التونسية للنشر والتوزيع.
٢- تقريب النشر فى القرآت العشر. للإمام ابن الجزرى. تحقيق إبراهيم عطوة ط/ مصطفى الحلبى.
٣- إعراب القرآن الكريم. لأبى جعفر النحاس. ط/ عالم الكتب. مكتبة النهضة العربية.
٤- تفسير الجلالين على هامش حاشية الجمل. ط/ دار المنار.
٥- الإتقان فى علوم القرآن. للإمام السيوطى. ط/ دار الفكر.
٦- أحكام القرآن الكريم. للإمام ابن العربى. أ/ على محمد البجاوى. ط/ إحياء الكتب العلمية.
٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. للإمام أبى السعود ط/ دار المصحف الشريف.
٨- أسباب النزول. الإمام السيوطى. ط/ مكتبة نصير بالقاهرة.
٩- أسباب النزول. للإمام الواحدى. ط/ دار الحديث بالقاهرة.
١٠-الإكليل فى استنباط التنزيل. للإمام السيوطى. ط/ دار الكتب العلمية.
١١-إملاء ما مَنّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات. للعكبرى على هامش حاشية الجمل. ط/ دار المنار.
١٢-البحر المحيط. لأبى حيان. ط/ دار الفكر.
١٣-البرهان فى علوم القرآن الكريم. للإمام بدر الدين الزركشى. ط/ دار الفكر.
١٤-بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز. للإمام محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق أ/ محمد على النجار. ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
١٥-تفسير القرآن العظيم. للإمام ابن كثير. ط/ دار التراث بالقاهرة.
١٦-الجامع لأحكام القرآن الكريم. للإمام القرطبى . ط/ دار الحديث بالقاهرة.
١٧-جامع البيان. للإمام الطبرى. ط/ دار المعارف بمصر.
١٨-الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون. للإمام السمين الحلبى. ط/ دار القلم دمشق.
١٩-الدر المنثور فى التفسير بالمأثور. للإمام السيوطى. ط/ دار الفكر.
٢٠-روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى. الإمام الآلوسى. ط/ إحياء التراث العربى.
٢١-زاد المسير فى علم التفسير. للإمام ابن الجزوى. ط/ المكتب الإسلامى.
٢٢-فتح القدير. الإمام الشوكانى. ط/ مؤسسة الريان.
٢٣-فنون الأفنان فى عجائب علوم القرآن. الإمام ابن الجوزى. دراسة وتحقيق أ/ محمد إبراهيم سليم. ط/ مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع.
٢٤-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الإمام الزمخشرى. ط/ دار الفكر.
٢٥-لباب التأويل فى معانى التنزيل. الإمام الخازن. ط/ المكتبة التجارية.
٢٦-المحرر الوجيز. الإمام ابن عطية. ط/ مكتبة ابن تيمية.
٢٧-مدارك التنزيل. الإمام النسفى. ط/ عيسى الحلبى.
٢٨-المدخل لدراسة القرآن الكريم. د/ محمد بن محمد أبو شهبة. ط/ دار الجيل بيروت.
٢٩-معالم التنزيل. الإمام البغوى. ط/ دار المعرفة.
٣٠-معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. للإمام شمس الدين الذهبى. ط/ مؤسسة الرسالة.
٣١-مفاتيح الغيب. للإمام الفخر الرازى. ط/ دار الغد العربى.
٣٢-المفردات فى غريب القرآن. للإمام الراغب الأصفهانى. ط/ دار المعرفة.
٣٣-الناسخ والمنسوخ. للإمام النحاس. ط/ مكتبة عالم الفكر.
٣٤-نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور. للإمام البقاعى. ط/ دار الكتب العلمية.
٣٥-النشر فى القرآت العشر. للإمام ابن الجزرى. ط/ الكتب العلمية بيروت ومكتبة المثنى ببغداد.

ثالثاً: كتب الحديث وشروحه:

٣٦-تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى. للإمام الحافظ أبى يعلى محمد بن عبد الرحيم المباركفورى. ط/ دار الفكر.
٣٧-سنن الإمام ابن ماجه. ط/ دار الريان.
٣٨-سنن الإمام أبى داود. ط/ المكتبة العصرية.
٣٩-سنن الإمام البيهقى (الكبرى). ط/ دار الفكر.
٤٠-سنن الإمام النسائى. ط/ الريان؟ ط/ الكتاب العربى.
٤١-سنن الإمام الترمذى. ط/ دار الحديث بالقاهرة.
٤٢-صحيح الإمام البخارى. ط/ دار الفكر.
٤٣-صحيح الإمام مسلم. ط/ كتاب الجمهورية.
٤٤-صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى. ط/ مكتبة الكليات الأزهرية ومطبعتها.
٤٥-فتح البارى بشرح صحيح البخارى. للإمام ابن حجر العسقلانى. ط/ مكتبة نزار مصطفى الباز/ الرياض. مكة المكرمة.
٤٦-المستدرك على الصحيحين. للإمام الحاكم. ط/ دار المعرفة بيروت لبنان.
٤٧-مسند الإمام أبى داود الطيالسى. ط/ دار المعرفة.
٤٨-مسند الإمام أحمد بن حنبل. ط/ المكتب الإسلامى.
٤٩-النهاية فى غريب الحديث والأثر. للإمام عز الدين بن الأثير. ط/ دار الحديث.

رابعاً: كتب التاريخ والتراجم والسير:

٥٠-الإصابة فى تمييز الصحابة. للإمام ابن حجر. ط/ مكتبة الكليات الأزهرية.
٥١-التاريخ الكبير. للإمام البخارى. ط/ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
٥٢-التاريخ الصغير. للإمام البخارى. ط/ دار المعرفة بيروت لبنان. تحقيق أ/ محمود إبراهيم زايد.
٥٣-سير أعلام النبلاء. للإمام الحافظ الذهبى. ط/ مؤسسة الرسالة.
٥٤-الطبقات الكبرى. للإمام ابن سعد. ط/ دار صادر بيروت لبنان.
٥٥-طبقات المفسرين. الحافظ شمس الدين محمد بن على الداودى. ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٥٦-وفيات الأعيان. للإمام ابن خلكان (أحمد بن محمد). ط/ القاهرة.

خامساً: كتب اللغة:

٥٧-الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل. أ/ بهجت عبد الواحد صالح. ط/ دار الفكر للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٥٨-الجدول فى إعراب القرآن الكريم وصرفه. تصنيف أ/ محمود صافى. ط/ دار الرشيد دمشق بيروت.
٥٩-لسان العرب. للإمام ابن منظور. ط/ دار لسان العرب بيروت لبنان.
٦٠-مختار الصحاح. للإمام أبى بكر عبد القادر الرازى. ط/ دار المعارف بمصر.

سادساً: علوم إسلامية أخرى ومعارف عامة:

٦١-الأسماء والصفات. للإمام البيهقى. ط/ دار الكتب العلمية.
٦٢-الفهرست لابن النديم. تحقيق أ/ محمد أحمد أحمد. ط/ المكتبة التوفيقية.

الفهـرس

العنوان **رقم الصفحة**

مقدمـــة .....
تمهيـــد .....
الآيات الكريمات (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ إلى
قوله تعالى وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .....
سبب نزولهـا .....
قصة ظهار شبيهة بقصة السيدة خولة ظنها بعض أهل العلم
أنها سبب نزول الآيات .....
المباحث العربية .....
المعنى العام للآيات .....
ما يؤخذ من الآيات الكريمات من أحكام وعظات .....